شهريات

بقلم رئيس التحرير

حوار مع « كاتم صوت »...

- أقدّم لك نفسي.
- تفضّل. من أنت؟
- أنا.. « كاتم الصوت ».
- آ.. تقصد...
- نعم. تماماً. هل أرعبتك؟
- أكون كاذباً إن زعمت العكس.
- ولكنني بذاتي لا أُرعب.
- ماذا تعني؟
- أولاً، كُفَّ عن الارتجاف حتى تفهمني.
- سأحاول.
- ثانياً: الارتعاب أو الرعب فعلٌ إرادي.
- ولكن الذي يخلقه فعل ضغط خارجي.
- الخارج لا يؤثر على الداخل إلا إذا كان الداخل في حالة استعداد. فهل أنت في حالة استعداد؟
- هل أنا من صخر؟ ألم أر ما حلّ بالآخرين؟
- ولكنك مناضل. ولك تاريخ. هكذا يقولون.
- حين تكون الوسائل متكافئة.
- ولكنك كنت دائماً تقول إن القلم والبندقية رفيقان.
- رفيقان في معركة التحرير. أما أنت...
- أنا ماذا؟
- عميل أنظمة.
- ها... وقعت في الفخ. من أجل أن أسمع هذه العبارة جئتك.
- ماذا تريد على وجه التحديد؟
- أن أتفاوض معك.
- تريدني أن أتفاوض مع من كانت مهمته أن يكتم صوتي؟
- ولكن صفتي « كاتم » تعني « مكتوم ». والفاعل بمعنى المفعول كثير في اللغة، أليس كذلك؟
- أنت مكتوم وكاتم، في وقت واحد.
- إذن، أنت ترفض التفاوض.
- أرفضه، من غير أن أنكر وجودك.
- ماذا تعني؟
- أرفض التفاوض، ولكنني أرفض الانتحار كذلك.
- ماذا أنت فاعل إذن؟
- هذا شأني.
- بل هو شأني أيضاً. وإلاّ فما معنى زيارتي لك؟
- أنا لم أدعك للزيارة.
- ولكنك حين تقوم بمهمتك، فإنما لا تتوجّه بها إلى الآخرين. أليس هذا ما يقوله صاحبك سارتر؟ ألا يقول كذلك: الآخرون هم الجحيم؟ ألست أنا من هؤلاء الآخرين؟
- أرجوك. أنت تتخلى عن عملك حين تدخل حرم الفلسفة والفكر. إن مهمتك أن تخرس أصوات المفكرين والفلاسفة والأدباء.
- أنت غبيّ. أنا أصلح لجميع الأطراف. أنا بحدّ ذاتي آلة. حديد بارد. من يحملني هو الذي يحدّد هويّتي. ألا أكون شريفاً حين يحملني المناضل الشريف؟
- وماذا تعدّ نفسك الآن؟ شريفاً؟
- لم تتحدَّد هويتي بعد. أنت الذي ستحدِّدها.
- أتريد الحق؟ إن أحدنا، في هذا الزمن الرديء، يعاني الكثير ليحدّد هويّة نفسه.. فهل..
- دعني أضحك، بل أقهقه..
- اضحك ما بدا لك. ولكن هذا لن يمنعني من الاعتراف بأن معتقداتي تتعرض هذه الأيام للتزعزع.
- عظيم، عظيم جداً. أنت إذن...
- لا تتعجّل الحكم. لم أقرر بعدُ شيئاً. إنني في حالة مراجعة. قررت أمراً واحداً فقط.
- بصفتي حتى الآن فريقاً محايداً، هل لي أن أعرف هذا القرار؟
- لقد قلته لك. أرفض الانتحار. هناك من يريد أن « ينتحرني ». إنهم يزايدون. والدليل أنهم أخذوا يصمتون.
- وهل ستصمت مثلهم؟
- أنا لا أصمت. لا أستطيع أن أصمت كل ما أستطيع أن أفعله هو أن أكتم صوتي، بمطلق إرادتي، لا بفعل خارجي. لا بتحريض من الآخرين، ولا بتهديد من مكتومي الصوت وكاتمي الصوت. وصوتي هذا الذي أختار بإرادتي المحضة أن أكتمه، سأتوجّه به إلى داخلي. سيقوم بحوار داخلي، باستبطان عميق، بنتاج خصب يبقى الذخيرة التي ستتفجّر تلقائياً حين تصبح الوسائل متكافئة، ويسقط كاتمو الأصوات.

سهيل إدريس